وَهُنَاكَ قَابَلْتُ زَوْجِي وَأَوْلَادِي ، وَسُرُّوا كَثِيراً بِلِقَائِي ؛ وَكَانَ دَهْشُهُمْ عَظِيماً عِنْدَ مَا رَأَوُا الْبَقَرَ الَّذِي أَحْضَرْتُهُ فِي قُبَّعَتِي . وَكَانَ قَدْ نَقَصَ عَدَدُهُ وَاحِدَةً ، أَكَلَتْهَا فِيرَانُ السَّفِينَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فِي بَيْتِي ، تَأَهَّبْتُ لِرِحْلَةٍ أُخْرَى ؟

قرطاجنه

وَقَعَتْ حَوَادِثُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ مُنْذُ أَلْفَيْ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ تَقْرِيباً ، فِي بِلَادِ فِينِيقِيَا (مَوْضِعِ لُبْنَانَ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ) . وَكَانَ بَيْنَ مُلُوكِهَا فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ مَلِكٌ اسْمُهُ أَجِينُورُ ، مَقَرُّهُ فِي سُور (وَهُوَ بَلَدٌ لَا يَزَالُ مَوْجُوداً فِي لُبْنَانَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ) وَكَانَ لِهٰذَا الْمَلِكِ ابْنَةٌ اسْمُهَا الْأَمِيرَةُ دِيدُو ، اشْتَهَرَتْ بِذَكَاءٍ نَادِرٍ وَجَمَالٍ فَتَّانٍ حَتَّى تَنَبَّأَ النَّاسُ لَهَا بِمُسْتَقْبَلٍ بَاهِرٍ ، وَمُلْكٍ وَاسِعٍ . وَكَانَ لِلْمَلِكِ أَيْضاً ابْنٌ أَصْغَرُ مِنَ الْأَمِيرَةِ اسْمُهُ الْأَمِيرُ بِيجْمَالْيُون ، كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ وَالطَّمَعِ.

وَكَانَتْ سُورُ فِي حُكْمِ أَجِينُورَ ، مَدِينَةً غَنِيَّةً ، يَؤُمُّهَا الْأُمَرَاءُ وَالتُّجَّارُ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ الْمُحِيطَةِ بِالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ ، فَيَبِيعُونَ بِضَاعَتَهُمْ وَيَشْتَرُونَ مِنْ نَفَائِسِ فِينِيقِيَا مَا يَشْتَهُونَ . وَكَذٰلِكَ كَانَ أُمَرَاءُ سُورَ وَتُجَّارُهَا يُرْسِلُونَ سُفُنَهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، مُحَمَّلَةً بِالْبَضَائِعِ الثَّمِينَةِ ، فَتُدِرُّ عَلَيْهِمْ أَرْبَاحاً طَائِلَةً ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَكِرْبَاسُ ، شَقِيقُ الْمَلِكِ ، أَغْنَى تُجَّارِ سُورَ ، وَأَوْسَعَهُمْ سُلْطَةً وَنُفُوذاً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

وَكَانَ هٰذَا الْأَمِيرُ يُحِبُّ ابْنَةَ أَخِيهِ الْأَمِيرَةَ دِيدُو ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا ابْنَتُهُ ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَخَاهَا بِيجْمَالْيُونَ لِطَمَعِهِ وَمَكْرِهِ ، وَكَانَ كُلَّمَا وَرَدَتْ إِلَيْهِ بَضَائِعُ مِنَ الْبِلَادِ الْأَجْنَبِيَّةِ ، اخْتَارَ أَثْمَنَهَا وَأَجْمَلَهَا ، وَقَدَّمَهَا هَدِيَّةً لِدِيدُو ، فَتَأْخُذُهَا مِنْهُ فَرِحَةً شَاكِرَةً ، وَلٰكِنَّ أَخَاهَا كَانَ لَا يَنْفَكُّ يُنَغِّصُ عَلَيْهَا عَيْشَهَا وَيَغْتَصِبُ مِنْهَا بَعْضَ الْهَدَايَا.

وَذَاتَ مَرَّةٍ ، قَدَّمَ لَهَا عَمُّهَا مَجْمُوعَةً مِنْ أَبْدَعِ الْجَوَاهِرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِيجْمَالْيُون بِذٰلِكَ ، ذَهَبَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا : « أَعْطِنِي تِلْكَ الْجَوَاهِرَ ، فَمَا أَنْتِ إِلَّا أَمِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ مِسْكِينَةٌ ، أَمَّا أَنَا فَأَمِيرٌ عَظِيمٌ .

سَأَصْبِحُ مَلِكاً ، وَسَأَحْتَاجُ لِتِلْكَ اللآلِئِ ، لأَرْصِعَ بِهَا تَاجِي » ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ دِيدُو قَائِلَةً : « إِنِّي أُحِبُّ هٰذِهِ الْجَوَاهِرَ ، وَسَأَلْبَسُهَا حَوْلَ عُنُقِي ، لاَ حُبّاً فِي الْعَظَمَةِ وَالزَّهْوِ ، بَلْ لأَنَّهَا هَدِيَّةٌ مِنْ عَمِّي » . فَقَالَ بِيجْمَالْيُون : « سَوْفَ أَضْطَرُّكِ إِلَى تَسْلِيمِ جَوَاهِرِكِ كُلِّهَا إِلَيَّ ، حِينَمَا يَصِيرُ إِلَيَّ أَمْرُ الْمُلْكِ » .

وَهٰكَذَا كَانَ الْخِلاَفُ بَيْنَ الأَخِ وَأُخْتِهِ قَائِماً تَزِيدُهُ الأَيَّامُ شِدَّةً وَعُنْفاً ، وَالأَمِيرَةُ مُحْتَمِيَةٌ بِأَبِيهَا وَعَمِّهَا مِنْ غَضَبِ أَخِيهَا وَطَمَعِهِ ، حَتَّى تُوُفِّيَ الْمَلِكُ ، وَصَارَ بِيجْمَالْيُون مَلِكاً عَلَى الْبِلاَدِ ، فَاسْتَعْمَلَ سُلْطَانَهُ فِي تَنْفِيذِ وَعِيدِهِ لأُخْتِهِ ، لِلْحُصُولِ عَلَى كُنُوزِهَا وَلٰكِنَّ عَمَّهَا أَكِرْبَاسْ كَانَ يَعْمَلُ دَائِماً عَلَى حِمَايَتِهَا ، وَتَوْفِيرِ سُبُلِ الْهَنَاءِ لَهَا ، فَشَاطَرَهَا ثَرْوَتَه وَزَوَّجَهَا مِنْ أَحَدِ أَغْنِيَاءِ الْبِلاَدِ فَزَادَتْ غَيْرَةُ بِيجْمَالْيُون ، وَاشْتَدَّ حَنَقُهُ وَسُخْطُهُ فَقَتَلَ عَمَّهَا وَزَوْجَهَا .

وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي وَجْهِ دِيدُو ، وَاشْتَدَّ بِهَا الْحُزْنُ ؟ فَقَدْ فَقَدَتْ عَزِيزَيْنِ ، كَانَا لَهَا كُلَّ سَنَدٍ فِي الْوُجُودِ ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَفْقِدْ شَجَاعَتَهَا ، بَلْ صَمَّمَتْ عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِهَا وَثَرْوَتِهَا ، فَجَمَعَتْ أَصْدِقَاءَهَا وَاسْتَشَارَتْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهَا بِالسَّفَرِ خُفْيَةً ، وَأَظْهَرُوا اسْتِعْدَادَهُمْ لِمُرَافَقَتِهَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ تُرِيدُ . وَأُعِدَّ كُلُّ شَيْءٍ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ ، وَفِي الصَّبَاحِ كَانَتْ دِيدُو وَأَتْبَاعُهَا ، وَكُنُوزُهَا ، فِي سَفِينَةٍ كَبِيرَةٍ ، تَمْخُرُ الْبَحْرَ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

وذات مرة قدم لها عمها مجموعة من الجواهر

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَالسَّفِينَةُ تَسِيرُ ، فِي بَحْرِ قُلَّبٍ ، يَهْدَأُ يَوْمًا : وَيَهِيجُ أَيَّامًا ، وَجَوٍّ مُتَغَيِّرٍ ، يَصْحُو ثُمَّ يَكْفَهِرُّ ، وَدِيدُو ، وَمَنْ مَعَهَا ، مُتَدَرِّعُونَ بِالصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ ، يَحْدُوهُمُ الأَمَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمَجْهُولِ ، وَالثِّقَةُ بِأَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى جِبَالٍ ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَدِينَةٍ اسْمُهَا يُوتِيكَا (مَكَانَ مَدِينَةِ تُونُسَ الْحَالِيَّةِ).

وَأَرَادَتْ دِيدُو أَنْ تُشَيِّدَ مَدِينَةً فِينِيقِيَّةً ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَسَتْ عِنْدَهُ السَّفِينَةُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَهَالِي يُوتِيكَا تَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَبِيعُوهَا قِطْعَةً مِنَ الأَرْضِ بِجِوَارِ الْجَبَلِ . وَلٰكِنَّ أَهْلَ يُوتِيكَا

كَانُوا قَوماً لاَ يحِبُّونَ الْغُرَبَاءَ ، فَقَالُوا لِلرَّسُولِ إِنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ بَيْعَ أَرَاضِيهِمْ لِلْغَرِيبِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْمَحُونَ لِلأَمِيرَةِ وَأَتْبَاعِهَا بِقِطْعَةِ أَرْضٍ ، لاَ يَزِيدُ مُحِيطُهَا عَلَى جِلْدِ الثَّوْرِ ، لِيَرْتَاحُوا عَلَيْهَا مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ .

وَعَادَ الرَّسُولُ إِلَى الأَمِيرَةِ ، حَامِلاً جِلْدَ الثَّوْرِ وَأَبْلَغَهَا الرِّسَالَةَ ، فَفَكَّرَتْ قَلِيلاً ، ثُمَّ قَالَتْ : « حَسَنًا ، سَنُوفِي بِشَرْطِهِمْ . قَطِّعُوا جِلْدَ الثَّوْرِ إِلَى شَرَائِطَ رَفِيعَةٍ جِدًّا ، وَصِلُوا الشَّرَائِطَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، حَتَّى تَصِيرَ حَلْقَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ خُذُوا مِنَ الأَرْضِ بِقَدْرِ مُحِيطِ تِلْكَ الْحَلْقَةِ » . فَفَعَلَ أَتْبَاعُهَا مَا أَمَرَتْ بِهِ ، فَأَحَاطَتِ الْحَلْقَةُ بِمِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الأَرْضِ .

وَلَمَّا سَمِعَ حُكَّامُ يُوتِيكَا بِذَلِكَ ، أُعْجِبُوا بِذَكَاءِ الأَمِيرَةِ ، وَسَمَحُوا لَهَا بِالأَرْضِ الَّتِي اخْتَارَتْهَا . فَأَنْشَأَتْ عَلَيْهَا مَدِينَةَ قُرْطَاجَنَّةَ الَّتِي اتَّسَعَتْ فِيمَا بَعْدُ ، وَصَارَتْ مَمْلَكَةً وَاسِعَةً (مَكَانَ بِلاَدِ

وعاد الرسول يحمل جلد الثور

تُونُسَ الْحَالِيَّةِ) ، وَمَرْكَزًا عَظِيماً لِلتِّجَارَةِ ، تَتَبَادَلُ بِضَاعَتَهَا مَعَ الأَنْدَلُسِ وَصَقَلِّيَةَ وَمِصْرَ وَفِينِيقِيا وَغَيْرِهَا ، مِمَّا جَعَلَهَا مِنْ أَغْنَى بِلاَدِ الْعَالَمِ .

وَأَصْبَحَتْ دِيدُو مَلِكَةً لِقُرْطَاجَنَّةَ . وَاشْتَهَرَتْ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعَ بِشَجَاعَتِهَا النَّادِرَةِ وَذَكَائِهَا الْوَافِرِ .

هدية السمير — القلعة

عَلَى وَرَقَةِ الْهَدِيَّةِ أَجْزَاءٌ تَتَكَوَّنُ مِنْهَا صُورَةُ الْغِلاَفِ . اقْطَعْ هَذِهِ الأَجْزَاءَ بِعِنَايَةٍ تَامَّةٍ ثُمَّ حَاوِلْ أَنْ تُرَتِّبَهَا الْوَاحِدَةَ بِجِوَارِ الأُخْرَى ، حَتَّى تَحْصُلَ عَلَى الصُّورَةِ الأَصْلِيَّةِ .

إِحْتَفِظْ بِهَذِهِ الْقِطَعِ لِتَتَسَلَّى بِهَا أَنْتَ وَمَنْ يَزُورُكَ مِنْ إِخْوَانِكَ فِي أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ .

يُمْكِنُكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِنَفْسِكَ عِدَّةَ مَجْمُوعَاتٍ كَهَذِهِ مِنْ صُوَرٍ أُخْرَى أَوْ (خَرَائِطَ) .